سياسة العرض و الطلب لا علاقة لها به ..
محمد حسن علوان :

الكتابة ليست كمية فيزيائية و(سقف الكفاية) لم تهزمني

حوار: سكينة المشيخص

محمد حسن علوان..من مواليد الرياض، 27 اغسطس 1979م، ولعله بذلك أصغر روائي استطاع أن يقتحم عالم الكبار بكل النضج الفني الذي اكتسبوه بخبرات السنين الطويلة، فالرواية ليست مشروعا قصصيا يروي حكاية مسلية ولكنها تكنيك وسرد فني يؤرخ لمجتمع و يستوعب متغيراته و تطوراته العميقة، وقد ولد الروائي اليافع بأسنان روائية و إبداعية وكتب ما لم يبدعه كبار ، وقدم نفسه بسقف الكفاية عام 2002م فكانت سقفا عاليا في دنيا الرواية ، ثم كان منجزه التالي رواية (صوفيا) عام2004م ليؤكد ذاته الأدبية ويضع بصمته الفنية الأصيلة في المشهد الثقافي العربي.. مع الروائي المتميز علوان نتوقف في عدد من محطات إبداعه و تجربته الروائية الفريدة من خلال هذا الحوار.

● (سقف الكفاية) هزمت محمد حسن علوان ... تعليقك؟

– لا، لم تهزمني، ولم تدر بيننا أي معارك! لقد كانت رواية أكثر من طيبة، منحتني تلامساً مباشراً مع إنسانيتي، وفتحت لي باباً لملامسة الذات النفسية والعاطفية لم أعرفه من قبل. صدقيني، ما زلتُ أعيد قراءتها في أوراقها الأصلية بخط اليد، وأفكر فيها كثيراً، وأعيد التأمل في ظروفها، وزمنها، وملامحها، واكتشفُ الكثير من الكلام القلبيّ الذي لم تكن تفضحه الوهلات الأولى. إنني أتأمل نفسي من جديد بعد أن تغيرت الثياب والأيام. هذا من ناحية علاقتي الشخصية بروايتي، ومن ناحية اجتماعية، منحتني علاقات مختلفة، ومتميزة بذاتها، مع قراء، وأصدقاء، حضر بعضهم على بساط

الرواية، وأبى إلا أن يكون مضيفاً، ومتميزاً، وتاركاً أثره في المكان دون أن يتشابه مع غيره أبداً، لكل قارئ حكاية، وأثرٌ مستقل على الرواية وكاتبها، التعامل مع كل علاقة بقارئ ما بشغف، وتأمل، واستقراء دقيق لهذا التقاطع بين قارئ وكاتب. أحياناً كثيرة، يكون القارئ مبدعاً في (قراءته) أكثر مما كان الكاتب مبدعاً في (كتابته)!.

● استنفدت طاقتك الروائية في هذه الرواية على ما يبدو.. ماذا؟

– الكتابة ليست كمية فيزيائية لتنفد أو تنتهي، إنها حالة ذات ظروف مشروطة تمنحها التواجد. عندما نتعاطى الحياة بالكتابة فهذا يعني أننا مؤهلون في نظامنا الإنساني لممارسة العملية دائماً، لا شيء يوقف هذا التناهيل، ولا شيء يحدّ من هذه

الاستمرارية الحياتية. هل يمكن أن يفقد الرسام القدرة على الرسم فجأة؟ لنصل معاً إلى لب القضية التي أعرف أنها حرضت على هذا السؤال.

الذين أثاروا قضية (استهلاك الطاقة الروائية) هذه كانوا يقرؤون المشهد الروائي بأكمله بعيون صحفية بحتة. الرواية التي تأكل صفحات أكثر من الجرائد تعني لهم الكثير. وعلى ذلك، قاموا بعملية مقارنة رياضية بسيطة بين صفحات الجرائد التي تناولت (سقف الكفاية)، ثم التي تناولت (صوفيا) بعد سنتين. وعادوا بنتيجة لا علاقة لها بالثقافة والرواية إطلاقاً. نتيجة صحفية؟ولعلهم أغفلوا أن تلقي الموضوعات الصحفية التي تناولت (سقف الكفاية) كانت تدور حول الأثر الاجتماعي للرواية أولاً، وحول عمري أثناء كتابتها ثانياً، بينما الثلث الأخير كان فنياً. والثلثان الأولان لا يمكن تكرارهما بطبيعة الحال مع (صوفيا)!. لأن أحداث (صوفيا) كانت في بيروت، وبالتالي لا يوجد جدل اجتماعي كذلك الذي تحدثه (سقف الكفاية) في الرياض، ولأنهم لا يمكنهم إعادة ما كتبوه عن عمري أثناء كتابة (صوفيا) لأنها روايتي الثانية، وبالتالي تم تناول (صوفيا) بالشكل الثالث المتبقي من أشكال (سقف الكفاية)، النقد الفني، وهذا هو المطلوب، ولكنه في المقابل خفف من الاستهلاك الصحفي، ما أدى ببعض المثقفين إلى استقراء الموضوع برمته من زاوية خاطئة تماماً. واعتقدوا أن (صوفيا) لم تحقق ما حققته (سقف الكفاية)، ثم انجرفوا في أنساق وأحكام جاهزة ومكررة من نوع: الرواية الواحدة، وكيف أن الضوء الإعلامي يحرق الكاتب، الخ..وأنا، بدأت ككاتب لا أملك إلا قلمي ودفتري، وسأظل أمارس الكتابة بنفس المحفزات الأصلية تلك، لأنها الأبقى، ولا يمكن أن أجعل توجهات المشهد الصحفية عوامل محفزة لي بدلاً من حوافز الكتابة الأصلية، سياسة السوق، والعرض والطلب، لا علاقة لها بي، ولا بكتاباتي، ولا تؤثر بي كثيراً! بنظرة واضحة نستطيع أن نلاحظ أن الكتابة التي تكون معزولة عن تأثير السوق الثقافي تكون أقدر على كسب هذا السوق في النهاية، وبقيمة فنية مستحقة.

● الضجة التي أثارتها الرواية تركزت على منطقية إبداعك مع صغر سنك (23 سنة).. كيف تعاملت مع ذلك؟

"- الكتابة المعزولة عن تأثير السوق الثقافي أقدر على كسب السوق بقيمة فنية مستحقة - أتمنى على أي كاتب أن يبقى خارج معادلة السوق الثقافي"

- لم يكن مطلوباً مني وقتها أن أقوم بأي ردة فعل، رحتُ أراقب، وأختلط، وأتعلم، وخرجتُ برؤى لا بأس بها حول سلوكيات المجتمع في تلقي هكذا أحداث، وفرّقت بين العابر والباقي، والأصيل والمموه. لا شك أنها منطقة زلقة جداً، قد تلقي بالكاتب خارج عملية الكتابة تماماً، وتجعله ينشغل بهوامشها، مثل النشر، والتسويق، والصحافة، والمنافسة الخفية مع كتاب آخرين على غنائم غير حقيقية. ولا شك أن هذا سينعكس على قيمة ما يكتب، لأنه لا يمنحه الوقت الكافي من الانغماس، وربما يسعى لاستخراج كتابته قبل وقتها فقط ليظل حاضراً في المشهد، وكأنه في معركة وهمية مع الزمن!أنا أتمنى على الكاتب، أي كاتب، أن يبقى خارج معادلة السوق الثقافي هذه، إن تذكرتنا للدخول أصلاً كانت عبر الكتابة، فلماذا نتجاهل الأصل، ونتمسك بهوامش تعيقنا نفسياً عن متابعة الكتابة بروح صافية، خالية من شوائب ما هو خارج الكتابة!.

● هل المطلوب من الروائي تقديم براءة اختراع إبداعي مع كل منجز، أم أن دهشة التلقي مما يمكن تجاوزه؟

- آليات التلقي بسيطة في مشهدنا الثقافي، أو أن الذين يملكون آليات أعمق غائبون عن النشر والإعلام. جميل كان استخدامك لعبارة (براءة الاختراع) في

السؤال، لأنها تظهر كيف تنشأ هذه الكلمة الصناعية الناتية عن السياق الثقافي والكتابي. لم تكن الكتابة مشروعاً أحادياً على الإطلاق، ولا يمكن أن تكون كتابة إذا كانت كذلك! وليس المشروع الكتابي بحالة من العزلة والانهماك يخرج على اثرها كتاب ما.

إذا سمحت لي أن أصوّر لك ما تعنيه الكتابة بالنسبة لي، فسأتخيل سلسلة طويلة من البشر، يتماسكون يداً بيد، ويصنعون خطاً ثقافياً بطول الزمن نفسه. لا أحد يعرف أين بدأوا، ولا أين ينتهون. هناك تواصل، توارث، تلاقح، وأفكار تنتقل من يد إلى يد، ومن كتاب إلى كتاب آخر.

● كيف تكوّنت عناصر الإبداع لديك؟

– لا يمكن أن أدّعي أنني مطّلع على أسرار الخلق أولاً، ثم لا يمكنني، حسبما يقتضيه التواضع الأنيق، أن أنسب لنفسي كلمة: الإبداع!.

● في رواية (صوفيا) كان الحب الحرام محور كثير من أحداثها، بصراحة هل أصبح خرق الثابو مفتاح السر لنجاح النصوص؟

– نعت حالة من الحب بالحلال أو الحرام هو أمر متعلق بمرجعية ثقافية معينة، مكانياً وزمانياً. يُختلف عليها ويُتفق حولها في سلسلة من التجادل لا تنتهي، والكتابة التي أنتمي لها حالة عامة، لا علاقة بهذه الانخراط الجدالي المحلي. خرق الثابو، بشكله المباشر الذي يوحي ببساطة الأمر وسهولته، يصنع روايات للاستهلاك المرحلي فقط، ولا تعتبر رواية قائمة بذاتها بقدر ما تعتبر حلقة من حلقات التجادل الاجتماعي، وشاهداً من شواهده.

"

ـ الحب الحلال أو الحرام أمر متعلق بمرجعية ثقافية معينة

ـ أتمنى أن يقوم محمد العباس بتفريغ منهجه النقدي العميق في أوردة مشهدنا الثقافي

ـ (صوفيا) تحاول مقاربة حالة إنسانية ومساءلة فلسفة كبرى في الوجود هي الموت فقط

"

العباس

أما، خرق الثابو، كحالة من حالات المساءلة الإنسانية للثوابت والحدود، فهذه من أعرق مكونات النص الروائي والأدبي عموماً، ومن أهم مداخله وأدواره في السيرورة الإنسانية.

● الناقد محمد العباس وصف روايتك (سقف الكفاية) بأنها أطول رسالة ترقيم وذهب إلى تشبيه صداها برواية جويته (آلام فيرتر).. إلى أي مدى كان العباس موضوعيًا ودقيقًا؟

– سلامٌ إلى العباس، ومزحته الثقيلة هذه! أعتقد أن محمد العباس كان يحيل إلى عبارة (الترقيم) بوصفها حالة اجتماعية

محلية يقصد منها جلب الأنثى البعيدة وغير المتوفرة بطبيعة الحال في مجتمعنا. وسقف الكفاية استخدمت ضمير المخاطب في ما يشبه رسالة من ناصر إلى منها، ومحاولة أخيرة لجلبها، وجعلها "متوفرة" في حياته مرة أخرى بعد غياب اليم. وإذا كان هذا غير ما يقصده العباس، فأنا أعتذر منه.

محمد العباس ناقد أصيل فعلاً، وأنا أهتمُّ كثيراً بما يكتبه عموماً، وبما يتفضل به عليّ من الرأي والنقد خصوصاً، وأنا أتمنى أن يتم تفريغ منهجه النقدي العميق في أوردة مشهدنا الثقافي، وتعميم مشروعه ليكون على مستوى آليّة ومنطلق نظريّ أكثر من كونه نتاجاً شخصياً.

● فلسفة الموت أصبحت تغري الكثيرين لاستصحابها في السرد، ذلك ما حدث في بطلة (صوفيا) التي قضت بالسرطان وكذا الحال في (سقف الكفاية) حيث كانت النهاية ميلودرامية.. لماذا هذا السواد؟

– لم أكتب بعد الكثير من الروايات حتى يمكنك تعميم فكرة السواد في أعمالي. أنا لا أختار ثيماتي قبل الكتابة أصلاً، ولا يمكنني أن أتجنب طوعاً ثيمات مستوطنة في داخلي، وشائعة في مجريات أيامي مثل الحب والموت.

● يمارس بعض الروائيين، وأنت أحدهم، ما يمكن تسميته بالطواف الاجتماعي أي مناقشة قضايا المجتمع من خلال أخرين كما فعلت في (صوفيا) ببطلتها اللبنانية.. كيف تناقش مثل هذه القضايا بالهروب إلى الداخل والصعود إلى أسفل؟

– لم تكن هذه نية مسبقة قبل كتابتي لصوفيا، ولا يوجد في رواية (صوفيا) أي آراء غير مباشرة، أو انتقادات جانبية للمجتمع إلا ما يتم تناوله بشكل واضح في العمل. رواية (صوفيا) تحاول مقاربة حالة إنسانية، ومساءلة فلسفة كبرى في الوجود، وهي الموت، فقط.

● (صوفيا) عبارة عن حالة سرد حمراء قد لا تضيف إليك إلا السوء، لماذا جرّبت هذا النوع من الأدب المجاهر بالمعصية الاجتماعية؟

– إجابتي سابقا حول هذه الرواية تكفي لإجابة هذا السؤال.

● كيف هي حالة الميزان الإبداعي للشعر والرواية لديك؟

– يتزنان بشكل طبيعي. حاجتي النفسية إلى الانخراط في أحدهما هي التي تحدد شكل ورقتي القادمة. الأمر يشبه عادتين حياتيتين مثل الشرب والتنفس، هل يمكن أن نخلط بينهما؟ لا يمكن، ولا أنا (أشرق) كثيراً في الكتابة، إلا في حالات صعبة جداً، ربما أتناولها في كتابة ما!.

● هل ستكتب قصيدة ذات يوم بنفس إيقاع (صوفيا)؟

– لا أعتقد.

● خطك الإبداعي قد يقصي بك كمبدع في مجتمعنا، ألا تخشى العزلة والنفي؟

– الذين ينفونني بسبب كتابتي لا يمكن أن يكونوا أوطاناً في الأصل!.

● ما خططك الإبداعية التالية؟

– أعمل على رواية مختلفة في وقعها اللغوي عن الروايتين السابقتين. وتتناول ثيمة واقعية، ملونة، وفنتازية، وبعيدة عن السوداوية حتى لا تتهميني بها في حوار قادم!.

● بعد كل هذا.. من أنت بحسب رؤيتك لنفسك؟

– محمد حسن علوان... ليس إلا!.

ترقيات الموظفين حديث المجالس

سليمان العيدي

سبق أن كتبت زاوية في جريدة الجزيرة حول موضوع الترقيات بعد الخبرة وطلبت من وزارة الخدمة المدنية أن تراعي شغور المكان بعد الترقية خصوصًا ان كان للموظف ذا خبرة فنية أو مهنية متخصصة... وتلقيت يومها رسالة من أخ كريم ترقى على مدينة الطائف وهو يعمل في جدة وسألته عن نوع الوظيفة فقال أمين مكتبة.. وكلمة أمين مكتبة يستطيع أي فرد مؤهل لهذا التخصص أن يقوم بها وقال إنه أمضى في الوظيفة السابقة 27 عامًا ولم يبق سوى سنوات قلائل على تقاعده فهل يترك منزله وأهله وأولاده ومدارسه.. وينتقل ليكون أمينًا لمكتبة عامة في الطائف أو في أي بلد ووظيفته الأصلية شغرت ليترقى عليها آخر سياتي من شرورة أو الخفجي.. المهم.. ان هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد تأمل وتفكر فكلنا نُعيل أسرًا.. ولدينا ارتباطات كُوّنتْ خلال عقود من الزمن. وفي النهاية لم يباشر هذا الموظف بحجة.. أنه لا يستطيع مغادرة جدة.. وهنا أعيد السؤال السابق في الزاوية المشار إليها.. لماذا لا نلجأ «دواوين الموظفين والخدمة المدنية إلى تعويم الوظائف بمعنى أن الوظيفة للجهاز والموظف في أي موقع يقدم خدمته لهذا الجهاز دون النظر إلى الموقع بهذا نحقق توازن العطاء الوظيفي وراحة الموظف الذي أجزم أن إتقانه للعمل سيزداد نتيجة استقراره الوظيفي.. وغالبية الموظفين قد أدركوا أن النجاح للموظف هو عطاؤه المتقن.. بعد نجاحه النفسي وخاصة أولئك الذين أمضوا سنوات طويلة في الخدمة لنحاول البحث عن مخرج.. وسوف نجد بإذن الله مع شكري وتقديري لكل جهد تقوم به وزارة الخدمة المدنية.